وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)وقوله تعالى(ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين)وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) واعلم ان حقيقة الكفر والايمان وحدهما والحق والضلال وسرهما . لاينجلى للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال وحبهما . بل انما ينكشف ذلك لقلوب طهرت عن وسخ أو ضار الدنيا أولا ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا ثم نورت بالذكر الصافى ثالثاً ثم غذيت بالفكر الصائب رابعاً ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة . وصارت كأنها مرآة مجلوة . وصار مصباح الايمان فى زجاجة قلبه مشرق الانوار . يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار . وأنى تتجلى اسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم . ومعبودهم سلاطينهم . وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم . وشريعتهم رعونتهم . وارادتهم جاههم وشهواتهم . وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم . وذكرهم وساوسهم . وكنزهم سواسهم . وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم . فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان . أبا لهام الهى ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها . أم بكمال علمى وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وأمثالها . هيهات هيهات هذا المطلب أنفس وأعزمن ان يدرك بالمنى . أو ينال بالهوينا . فاشتغل انت بشأنك . ولا تضيع فيهم بقية زمانك . وأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى

فصل

فأما انت ان أردت ان تنتزع هذه الحسكة من صدرك . وصدر من هو فى حالك . ممن لا تحركه غواية الحسود . ولاتقيده عماية التقليد . بل تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال أثارها فكر . وهيجها نظر . فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فان

زعم ان حد الكفر مايخالف مذهب الاشعرى أومذهب المعتزلى أو مذهب الحنبلى أو غيرهم فاعلم انه غربليد . قد قيده التقليد . فهو أعمى من العميان . فلا تضيع باصلاحه الزمان . وناهيك حجة فى الخامه . مقابلة دعواه بدعوى خصومه . اذ لايجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلا . ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعريّ . ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجليّ . فاسأله من أين ثبت له ان كون الحق وقفاً عليه حتى قضى بكفر الباقلانى اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم انه ليس هو وصفاً لله تعالى زائداً على الذات ولم صار الباقلانى أولي بالكفر بمخالفته الاشعرىّ من الاشعرى بمخالفته الباقلانى . ولم صار الحق وقفاً على احدهما دون الثانى . أ كان ذلك لاجل السبق فى الزمان . فقد سبق الاشعرىّ غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه . أم لاجل التفاوت فى الفضل والعلم . فأىّ ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل فى الوجود من متبوعه ومقلده . فان رخص للباقلانى فى مخالفته فلم حجر على غيره . وما الفرق بين الباقلانى والكرابيسي والقلانسى وغيرهم . وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة . وان زعم ان خلاف الباقلانى يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعضُ المتعصبين زاعماً انهما جميعاً متوافقان على دوام الوجود والخلاف فى أن ذلك يرجع الى الذات أو الى وصف زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول علي المعتزلي فى نفيه الصفات وهو معترف بان الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات وانما يخالف الاشعرى فى انه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين وأي مطلب اجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر فى نفيها واثباتها فان قال انما اكفر المعتزلى لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة يستحيل ان توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذاتُ الواحدة فجوابه لا يستبعد من الاشعرى قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالي ومع كونه واحدا هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهى وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر مايتطرق اليه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)